عمر الخيّام

الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري

حياته وسيرته • عصره السياسي • عصره العلمي • علماء عصره
أدبه وفلسفته • مصادر فلسفته • نظراؤه • رباعياته ورسائله

تأليف

المحامي

احمد حامد الصرّاف

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق • وعضو الفرهنگستان الايراني في طهران

الطبعة الثالثة

مزيدة ومنقحة

منشورات مكتبة المثنى ببغداد

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة المعارف ـ بغداد

١٩٦١

ساعدت وزارة المعارف على طبعه

شـــكـــر

اسجّل شكرى لصديقي الاستاذ السيد قاسم محمد الرجب ، صاحب مكتبة المثنى ببغداد ، لاهتمامه بنشر هذا الكتاب •

ـ المؤلف ـ

عمر الخيّام

الحكيم الرياضي الفلكي النيسابوري

حياته وسيرته • عصره السياسي • عصره العلمي • علماء عصره
أدبه وفلسفته • مصادر فلسفته • نظراؤه • رباعياته ورسائله

تأليف وترجمة

المحامي

أحمد حامد الصراف

عضو المجمع العلمي العربي في دمشق • وعضو الفرهنكستان الايراني في طهران

الطبعة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة المعارف ـ بغداد
١٩٦٠

ساعدت وزارة المعارف على طبعه

عمر الخيـــــام

عمـــر الخيـــام

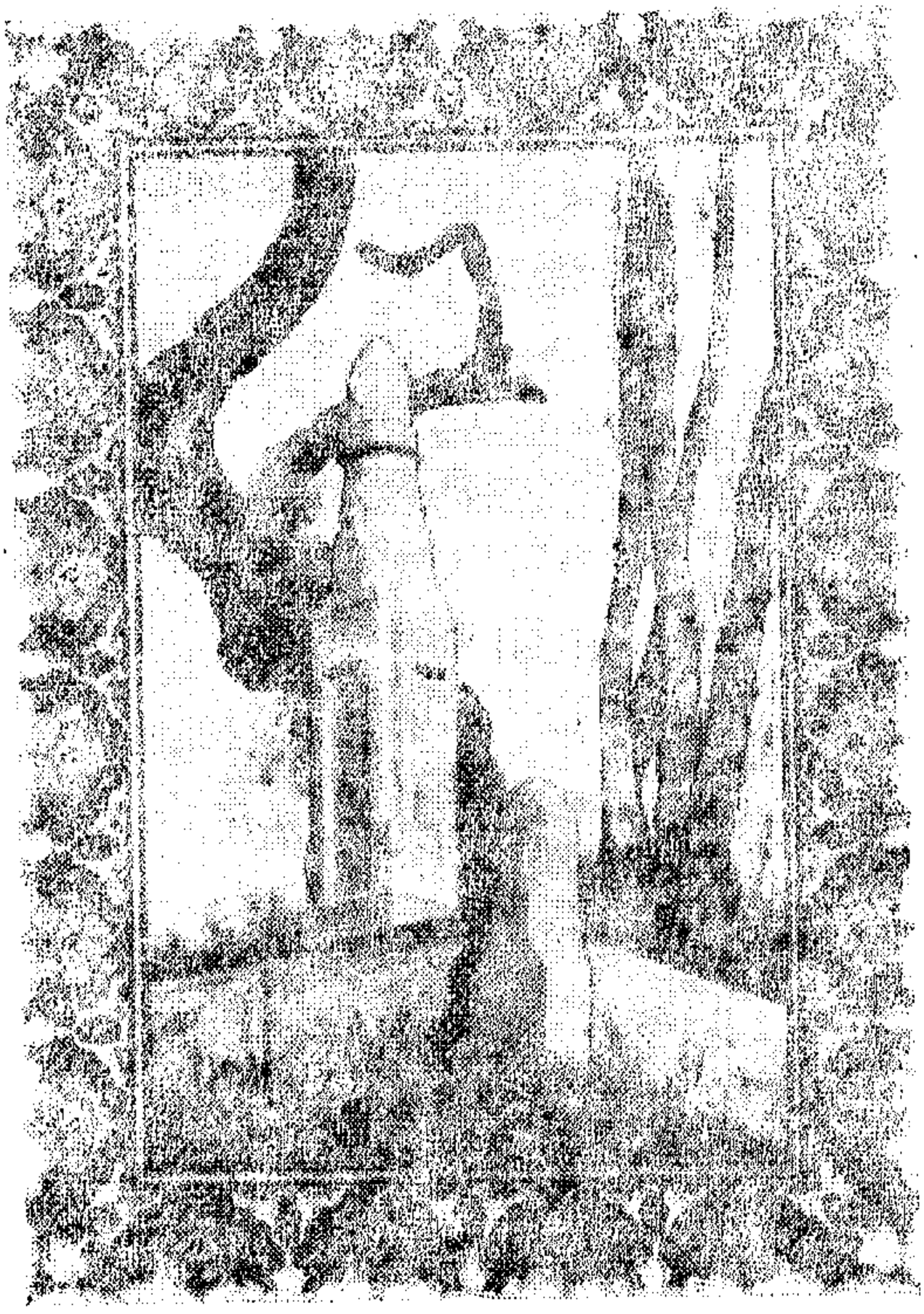

قبر الخيام فى مقبرة امام زاده محروق فى نيسابور

اذا قنعت نفسي بميسور بليغة يحصلها بالكد كفي وساعدي
أمنت تصاريف الحوادث كلها فكن يا زماني موعدي او مواعدي
ولي فوق هام النيّرين منازل وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بأن يعيد الى نحس جميع المساعد
فيا نفس صبراً عن مقيلك انما يخرّ ذراها بانقضاض القواعد
متى ما دنت دنياك كانت بعيدة فوا عجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحياة منية فسيان حالا كل ساع وقاعد

ـ عمر الخيام ـ[1]

---

(١) راجع رواية الشهرزوري والقفطي •

عمر الخيام

المقدّمة

الأدب الايراني • أقاصيص عن الخيام

في أواسط القرن الخامس الهجرى وفى مدينة نيسابور الحافلة بالعلم الآهلة بالعلماء ولد لرجل من اهلها يدعى ابراهيم ـ ما زال شخصه وبينه وصنعته سرّاً فى بطن التاريخ السحيق ـ مولود شاءت له الارادة الازلية الحكيمة طالعا حسنا وحظا عظيما لينال اكبر نصيب من العلم وليكون اماما جليلا من أئمة المعرفة الشائعــة فى عصره فانحلت بجهوده العلميــة بعض المعضلات والغوامض والمجهولات من العلوم والفنون فى عصره فاشير اليه بالبنان وشخصت اليه الأبصار فرددت الافواه اسمه مقرونا بالتجلة والاكبار وشاع صيتــه شيوع النور فعرف بين الناس بالعلم الفــذ المتحلى من النسق الأعلى بالصفات ••• فكان هذا الكوكب الطالع فى سماء نيسابور مفخرة من مفاخر الشرق وعلما من اعلام الفضل وكان ذلكم « عمر الخيام » •

* * *

ولد عمر فى نيسابور ونشأ فى ربوعهــا وترعرع فى اوساطها ولمــا امتدت قامته وعلا به شبابه سطع ذكاؤه كما يلمع البرق الخاطف فالتهمت حافظته مــا وقعت عليه عيناه ووعَتْ ذاكرته ما سمعته اذناه فدرس عــلى فضلاء مدينته شتى المواضيع ومختلف القضايا فتمثل معانى ما درس وتفهم ما قرأ فصار الفارس المجلّى الذى لا يشق له غبار ••• ولجلالة قدره ، وعظيم شهرته ، وكبير صيته ، نعت بنعوت والقاب فخمة حتى لقد خوطب

بالدستور والامام والحكيم والفيلسوف وحجة الحق ، ومن ثم أصبح المبجّل المحترم لدى الملوك والامراء وصديقهم صداقة الند للند فكان السلطان ملكشاه السلجوقى فى خراسان ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملك ببخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلسه معه على سريره •

★ ★ ★

كلف الامام حجة الحق عمر الخيام بالفلك والرياضيات والهندسة والفلسفة كلفا شديدا ــ وكان يطلق عليها باصطلاح ذلك العهد باجزاء علوم الحكمة ــ وقد نهل وغرف من المنهل العذب طوال عمره فكأنه الظمآن الذى لا يرتوى والنهمُ الذى لا يشبع ، فذكر أكثر من واحد من المؤرخين انه كان تلو أبى على ابن سينا فى أجزاء علوم الحكمة وبذلك صرح الامام أبو الحسن البيهقى فى كتابه طبقات الحكماء ، وشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح وجمال الدين يوسف القفطى فى كتابه أخبار الحكماء وكل من هؤلاء ثقة فى سرد حوادث المترجمين وحجة فى صحة النقل •

★ ★ ★

عنى الخيام بالطب فتتلمذ لمشاهير عصره من كبار الاطباء وقد مارسه فطبّب ولم يحترفه مهنة تدر عليه فقد ذكر الشهرزورى ان السلطان سنجر السلجوقى اصيب وهو صبى بالجدرى فعالجه الخيام • وعنى بالفلك فعمر الرصد للسلطان ملكشاه السلجوقى مع جماعة من أعيان المنجمين كأبى المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم من الفلكيين الذين لم يتحفنا التاريخ بذكر أسمائهم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥هـ فبطل بعد موته ••• وقد وضع الزيج الجلالى الذى رتبه للكشاه السلجوقى وهو بيّنة بيضاء على انه كان منقطع القرين فى الرياضيات والهيئة ••• وله مآثر وفضائل اخرى بوأته مكانة رفيعة بين لداته وأترابه

فمنها انه كان عالما بالفقه واللغة والتواريخ حتى علم القراآت وقد روى لنا البيهقى ما دار بينه وبين أبى الحسن بن الغزال امـام القراء فى عصره من الحديث حول القراآت • ولفضائله الجمة وكمالاته التى تفرد بها جلّت منزلته بين العلماء وكثر توقيره عندهم ويكفى تدليلا على ذلك ان أبا القاسم الزمخشرى جار الله الامام الكبير فى اللغة والتفسير كان يسمى الخيـام « بحكيم الدنيا وفيلسوفها » فقد دون فى رسالته « الزاجر للصغار عن معارضة الكبار » ما نصه :ـ « ولعهدى بحكيم الدنيا وفيلسوفها الشيخ الامام الخيامى وقد نظمني واياه المجلس الفريدى •••• وقد احتدم الجدل بينهما حول عين المطبق والمصمم فى وصف السيف •••• الى آخر القصة ، ومع ان الخيام عرّض بالزمخشرى فغمزه بتلاوة بيت لابى العلاء المعرى بقوله :ـ

نبىٌّ من الغربان ليس بذى شرع يخبرنا ان الشعوب الى صدع

نجده ـ أى الزمخشرى ـ لا يرد عليه ويغضى عن ذلك توقيرا له واحتراما لمنزلته وبعد كل هذه الملاحاة يقول فى رسالته مستأنسا بما يقول:ـ ثم انه ـ أى الخيام ـ زاد فى توقيرى •

* * *

تخرج على الخيام جمهور من الفلاسفة والحكماء وتتلمذوا له وقـد حفظ لنا المترجمون أسماء جماعـة منهـم فذكر البيهقى ان من تلامذتـه الفيلسوف محمدا الايلاقى ، والحكيم على بن محمد الحجـازى القاينى ، والعلامة الشهيد عبدالله بن محمد الميانجى ، وغـيرهم من الافـذاذ ••• ومن كان تلميذه ينعت بالفيلسوف والحكيم والعلامة فهو بلا ريب الرأس الاعلى بل فى الذروة من الكمال •

* * *

وجاء فى ترجمته أن له ضنة بالتصنيف والتعليم وكان المنتظر منه وهو دائرة معارف ومحيط ضليع ان يترك وراءه أسفارا جليلة ضخمة وتصانيف عظيمة فخمة تتضمن ما آمن وما يشك فيه وما صدق وما يوسوس به مشحونة بآرائه القيّمة وطافحة بشروحه الثمينة لكن أمزجة العلماء تختلف فى هذا الخصوص فمنهم من يقبل عليه ومنهم من يصدف عنه وقد لا يدل الإكثار من التصنيف على فضل المؤلف وربما قام النزر منه دليلا على الاحاطة التامة والشاعر المقل المجيد مقدم على الشاعر المكثر غير المجيد والخيام كتاب قائم بذاته يفيض فيبهر فيضه وقد حفظ لنا مترجموه أسماء رسائله وكتبه فى شتى المواضيع كرسالته فى براهين الجبر والمقابلة ورسالته فى شكل ما أشكل من مصادرات إقليدس ورسالة فى الطبيعيات واخرى فى الوجود واخرى فى الكون والتكليف ورسالة عجيبة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة ورسالة فى لوازم الامكنة وقد بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم أما زيجه الجلالى المشهور المقدم ذكره فانه غرة فى جبين العلم ومفخرة من المفاخر .

* * *

ومن الافتئات والافتراء عليه انه وصم « بسوء الخلق وضيق العطن » وقد بان لنا مما رواه الذين عنوا بترجمته أنه كان حاد الطبع عصبى المزاج تعتريه الحدة وتغلب عليه الغلظة وتلكم صفات قد تكون ملازمة أحيانا للحكماء المفكرين والظاهر انه قد تعسز على معاصريه ان يطلعوا على سريرته فوصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما .. واذ نرى الخيام يوصى فى احدى رباعياته بالاقلال من مصانعة الناس واتخاذ الاصدقاء نفهم انه كان يتجنب أن يندس فى غمار الدهماء وخصوصا انه رأى بام عينيه ما آلت اليه عاقبة تلميذه العلاّمة عبدالله بن محمد الميانجى الشهيد الذى اهرق دمه ظلما وتعسفا بتهم باطلة حيث قصده الوزير أبو القاسم

الدركزينى وعقد عليه محضرا ، وحمله الى بغداد مقيدا ، ثم صلب بعد القول الزور بهمذان فى اليوم السابع من جمادى الآخر سنة ٥٢٥هـ .

* * *

اتهم الحكيم عمر الخيام (بالزندقة) كما اتهم قبله كثير من ذوى الفضل والافكار الحرة فقتلوا تقتيلا وهذه كانت سمة لكل حكيم عميق الغور واسع التفكير فى الآفاق البعيدة وتهمة وصم بها كثيرون من النبهاء واذ كان كل ذى نعمة محسودا فان مواهب الخيام وفضائله وما اتصف به من صفات حجب بها أقرانه جعلته هدفا لحسد الحاسدين وتقولات الحاقدين وقد بلغه فى حياته قدح أهل زمانه فى دينه وشكهم فى عقيدته ويروى الوزير يوسف القفطى هذا الواقع فى كتابه أخبار الحكماء فنقرأ فيه قوله :ـ ولما قدح أهل زمانه فى دينه وأظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه وحجّ متاقاة لا تقية وأبدى أسرارا من السرار غير نقية ... ومن يقرأ رباعيات الخيام ويتأمل فى جمال معانيها السامية يوقن ايقانا تاما بأنه كان موحدا يؤمن بالله « الواجب الوجود » الازلى السرمدى وانه لم يكن من الملاحدة التائهين فى بيداء الضلال كما زعموا ... بيد ان الحكيم الجليل قد أوجعه هذا الغمز وأمضه ذلك اللمز فرد على الثرثارين من شانئيه ردا دل على جنان قوى واعتزاز بالنفس فقال : انا ان كنت سكران بخمرة المجوس فانا ذاك . وان كنت كافرا أو مجوسيا أو وثنيا فانا ذاك ، لكل طائفة ظن فى ، أما أنا فملك نفسى أكون كما أريد .. والخلاصة أن حجة الحق قوى الايمان ، راسخ العقيدة ، كامل اليقين عرف رب الارباب كما عرفه الحكماء لا كما عرفته الدهماء .

* * *

لم يكن الحكيم عمر الخيام من أصحاب المذاهب الخاصة بالفلسفة فلم

يبتدع فى الحكمة اسلوبا خاصا استقل به وحده ولم يأت بمقالة جديدة تفرد بها رأيه بل درس الفلسفة اليونانية فقتلها درسا وهضم ما قرأ فهو فلكى رياضى أولا وحكيم استعرض النظريات الفلسفية ثانيا ومن ثم فهو من رادة القضايا فى الحكمة والادب والفقه ، غير انه يبدو للفاحص المتتبع بجلاء ووضوح أنه كان يعتنق مذهب « الجبر » ويدين به ويقول بقدم المادة والزمان ورأيه فى واجب الوجود يختلف عمن سواه فهو مؤمن باله هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر ، فان ساغ لنا أن نستدل على عقيدته برباعياته وان نحتج بها على ما نزعم به فان مضامينها صريحة لا ريب فيها • وبعد كل هذا وذاك فانه بلا شك سلك مسلك الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية •

* * *

كان الخيام مكيناً فى الادبين العربى والايرانى فقد قرض الشعر بلغة دينه ولغة قومه الا انه لم يحلق فى الجو الذى حلق فيه الشعراء وقد نهج منهجا خاصا فى نظم الشعر يختلف عن الآخرين فلم ينشىء القصائد الطوال فى الغزل والنسيب والمديح والرثاء والهجاء ولا غير ذلك من أعراض الشعراء فلم يتغزل بحسناء سلبته لبه ولم يمدح ملكا ولا أميرا لنيل وفر ومال ولم يذم شخصا لعداوة وضغينة ولم يتعرض لاحد من معاصريه لا بالخير ولا بالشر ولم يرد اسم أى أحد منهم فى شعره وقد انفرد بالتعبير عن مشاعره وأحاسيسه وحدها فكان من المبتلين بهواجسه ووساوسه ومخاوفه وقد عطرها بشذا حكمته وصبغها بأزهى ألوان معانيه وطرزها بأروع مضامينه وكان اذا جاش فى صدره وجال فى خاطره ما يجيش فى صدر الشاعر ويجول فى خاطره صب هذه النفثات وهى نتاج انفعالاته النفسية ـ فى قوالب جميلة يبرز منها أدبه الغض الريان عريانا كالشمس فيظهر فى مضانها اليقين والشك والالم والسرور

والنقد والسخرية مشفوعة بالجرأة مقرونة بالصراحة • فيتمثل بمجموعه احساسه المرهف أصدق تمثيل •

اختص الحكيم عمر الخيام بنظم الرباعى وعروضه « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو فى اصطلاح الادب الايرانى « رباعى پرداز » وقد اشتهر بين الافرنجة برباعياته كما عرفه العرب بها وأول من تصدى الى تعريبها هو الشاعر الموهوب وديع البستانى ترجمها عن الانجليزية فجاءت بحلتها القشيبة حسناء تثير الوجد والشجا ، وقد نظم أكثر الشعراء الايرانيين « الرباعى » كابن يمين والسعدى وحافظ والجامى والنظامى والخاقانى والمولوى وغيرهم فلم يُدف أحدهم دفيف الخيام ولم يصل واحد الى العمق الذى غاص فيه الخيام اذ لم يتمكن أى شاعر ايرانى ان يعبر عن هواجس الناس من شكوك وآلام ووساوس وأوهام كما فعل هو ، ولكن الخيام اضحل قريحة من هؤلاء الشعراء فى أغراضهم وانى على وثوق تام من أنه لو انه طلب اليه فى حياته أن ينظم قصيدة ينحو بها نحوهم فى الرثاء أو الغزل أو النسيب أو الهجو لكان نظمه دون نظمهم جميعا كما لو طلب الى الشعراء ممن سبقه أو خلفه أن ينظموا الرباعى بمعانٍ ومضامين رباعياته لكانوا جميعهم دونه بلا شك وبالجملة فانه لا يستطيع أن يضاهيهم وهم لا يستطيعون أن يضاهوه والسبب جلىّ فى ذلك فالخيام يفكر بعقله لا بعقل غيره ويقضى باحساسه لا باحساس غيره فغرضه من النظم غرض الحكيم الذى يعبر عن شعوره لتعريف « ذاتيته » وابانة ما فى أحشائه من لهب أحمر ، فالصيحات التى نكاد نسمعها من رباعياته والشهقات والصرخات الهائلة الداوي اشطرها هى نتاج الانفعالات المتحصلة من تفكيره العميق فى أسرار الطبيعة وعلة الخليقة وحركات الكون وكيفية هذا التكوين وما يتفرع من حياة وموت وبقاء وانطفاء •• فالذى يكتب بقلمه « جئنا مضطرين ولا ارادة لنا فى المجىء وسنذهب

مكرهين ولا رأى لنا فى الذهاب ولم نعلم ما الغاية من مجيئنا وبقائنا وذهابنا فى هذه الدنيا وقد وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ مفؤودين من الدهر طائشين على الدوام تائهين فى هذه الدائرة التى لا سطح لها ولا باب لا جئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا ، ويا حبذا لو كان للراحة موطن ويا حبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ويا حبذا لو كان لنا أمل فى العودة الى الحياة بعد مئة الف عام كعودة العشب من قلب التراب ... فان مثله مثل الحائر المبهوت المدهوش المضطرب القلق الخائف من الفناء فهو اذا لا يهمه من شؤون الحياة ما يهم الشعراء ولا يبالى ان مات قديس تعبد الله أو هلك مجرم عصى الله ولا يهمه التصاون ولا التهاون .. ولم يكلف نفسه نشر الفضيلة ولم تدفعه نفسه الى حمل الناس على البر وتشويقهم الى صنع المعروف وفعل الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة فهو مشغول مبتلى بنزعاته أن وناح وبكى وصاح وسخر وغنى لنفسه فرباعياته قائمة بذاتها تمثل شخصيته الوجودية وهى جد أصيلة لم تنهل من منهل سوى عقله وشعوره... فالخيام شاعر تكبره الخاصة وتسخر منه العامة يميل اليه الاذكياء ، وتنفر منه الحمقى ، يعجب منه الشجى ، ويصدف عنه الخلى ، يرغب فيه المهموم الفطن ، ويزهد فيه المضروط المتغفل فليس هو بشاعر الدهماء بل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء .

* * *

تزوج الخيام ـ وما زلنا نجهل شخص حليلته كما لا نعلم شيئا عن بيتها ووالديها ـ الا اننا عرفنا ان له ختنا يسمى الامام محمدا البغدادى ممن أدرك أواسط القرن السادس الهجرى وجرت بينه وبين رشيد الدين الوطواط مراسلات اخوانية فهو اذا أنجب بنتا تزوجها الامام المذكور ويحتمل انه أنجب ولدا كان خاملا فأهمل ذكره ونسى اسمه ، ويروي دولتشاه السمرقندى فى مؤلفه تذكرة الشعراء ان « ملك الكلام شاهفور

النيشابورى ممن يتصل بالحكيم عمر الخيام بوشيجة النسب ولعله كان من أحفاده ان كان قد رزق بولد والا فهو سبطه وقـــد يكون ملك الـكلام المذكور من أبناء عمومته أو عماته أو خالاته وقد توفى هذا سنة ٦٠٦هـ في تبريز •

ساح الخيام فى البلاد الاسلامية وطوف فى مدنها فسافر الى بلخ وفيها قابله تلميذه العروضى السمرقندى فتنبأ له بمرقده بعد وفاته والى يزد وقد جرت بينه وبين ملك يزد علاء الدولة فرامز بن على بن فرامز ملاحاة حول اعتراضات الحكيم أبى البركات على أبى على بن سينا والى اصبهان وقد ذكر الشهرزورى انه تأمل كتابا بأصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور وأملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت والى بخارى وقـد نال من خاقانها المذكور آنفا أحســن تكريم والى بغـداد ثم حج بيت الله الحرام ولا شك انه أفاد فى جميع رحلاته واستفاد وكان موضع الاحترام والاعجاب •

★ ★ ★

اشتهر الحكيم عمر الخيام بين الافرنجة والعرب برباعياته التى تشتمل على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعـلى مسائل فلكيـة وخلقية وأدبية وفلسفية وقد نظمها فى أزمنة وأمكنة مختلفة وهى تمثل ذوقه وروحه وتفكيره تمثيلا خاصا ، وقد كتب فى كل حادثة اجتماعية كلمة لذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها ولا بعدها ، وقد تتاون شخصيته فيتقمص فى كل رباعية حالة جديدة وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين ، فمرة يبدو مؤمنا مطمئنا وتارة يبدو مرتابا مضطربا واخرى موسوسا معاندا فالرباعيات مظان فلسفته ومستودع آرائه •

★ ★ ★

وقد لهج الخيام بالخمرة وأثنى عليها وحث على تعاطيها وقد أكثر القول فيها الى حد الاغراق حتى ظن المتأخرون الذين عنوا برباعياته وشغفوا بسخامينها انه من دعاة مذهب « اللذة » فشبهه بعضهم بالفيلسوف اليونانى الشهير لوقرچيوس صاحب « مذهب اللذة » والذين وصموه بهذه التهمة الباطلة تعوزهم الحجة بلا ريب فليس فى يد أى مدع بهذه الدعوى وفى أى عصر من العصور وثيقة بسطر واحد تقوم دليلا على انه كان خليعاً سكيراً مدمنا لنخمرة وقد دعا الخيام الى اللذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة خاصة هى وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفى ، وقد أقام الحجة وأبان الدليل على ما اوصى به فالخيام كان يرى الدنيا جميلة ، والحياة لذيذة ولكنها موقتة وزائلة زوال الظل فكان يخاف الموت والانطفاء الابدى والعدم ولهذه العلة قال :

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم ، فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى ، انت تعلم ان الكون آئل الى الخراب فكن انت أيضا خراباً ليلا ونهارا ، حتى يمر عمرك فى عبادة نفسك أو فى التفكير فى الوجود والعدم اشرب المدامَ فان العمر الذى وراءه المنية يحسن ان ينقضى فى النوم أو السكر ... لهذه العلة لهج الخيام بالخمرة لانها الدواء الذى ينسيه آلام الانطفاء التام والعدم الابدى .

* * *

وصفوة القول أن الحكيم الدستور حجة الحق عمر الخيام كان من اعاظم علماء الفلك والرياضيات وكان حكيما مطلعا على دقائق الفلسفة اليونانية وكان طبيبا وشاعرا وأديبا فهو مفخرة من مفاخر ايران ونادرة من نوادر الدهر .

الأدب الايراني

كانت وقعة نهاوند عام ٢١ للهجرة الوقعة الحاسمة وبعدها دوت كلمة التوحيد فى الآذان والقلوب ومنذ ذلك التأريخ أخذ يتسع نفوذ اللغة العربية فيها فتغلغلت وهى ـ لغة الدين والدولة ـ وانتشرت فى المدن والقرى والدساكر وفى مدة قرنين شاعت وذاعت حتى شملت بلاد فارس برمتها ، فقرىء القرآن ، وتلى الحديث ، واقبل الايرانى المسلم على العربية وهى لغة شريعته يدرسها باتقان ليفهم معانى كتابه ومناحى ايمانه وشؤون دينه فصار للعربية يومئذٍ المحل الأعلى والقدر الاسمى فى ايران فشرع معظم الايرانيين فى تدوين مؤلفاتهم بالعربية حتى انه لم يمل أحدهم الى التصنيف بغيرها ، فألف ابن سينا الفيلسوف الطبيب القانون والنجاة والآلهيات والطبيعيات والاشارات بالعربية والف حجة الاسلام ابو حامد الغزالى كتابه الشهير احياء العلوم بالعربية وأبو القاسم الزمخشرى جار الله الفائق وأساس البلاغة والميدانى النيسابورى كتابه الامثال والراغب الاصفهانى كتابه المحاضرات وهناك جماعات كبيرة من الفحول الافاضل ألفوا كتبا فى التفسير والحديث واللغة والفقه والفلسفة والطب بالعربية • والدافع الى اقبال المسلمين غير العرب على تعلم العربية واضح وجلى فان الايرانى والتركى والهندى والافغانى وغيرهم ممن اعتنقوا الاسلام اضطروا بحكم الايمان الى درس العربية ليقرأوا كتاب الله متعبدين يضاف الى ذلك ميل المسلمين اليها لحلاوتها ومرونتها وكثرة اتساعها فى شرح العلوم وتيسيرها وناهيك بجمالها المتمثل فى اعرابها وتعبيرها واعجازها واعجازها وايجازها ومترادفاتها وأمثالها لذلك أصبح تعلمها شرفا واتقانها فخرا لدى الاقوام المسلمة من غير العرب وفي مقدمة هؤلاء الاقوام الامة الايرانية التي

قدم علماؤها أفضل الخدمات الى العربية والشريعة الاسلامية •

★ ★ ★

بانت طلائع الشعر والشعراء فى ايران بعد قرنين من الفتح الاسلامى وقد نقل لنا العوفى فى كتابه لباب الالباب ودولتشاه السمرقندى فى كتابه تذكرة الشعراء أسماء جماعة من الشعراء الذين نبغوا فى أواخر القرن الثانى الهجرى •

ويروى ان أول شاعر ايرانى وقف بين يدى خليفة عربى فمدحه بقصيدة بلغة قومه هو الشاعر عباس المروى الذى مدح الخليفة عبدالله المأمون حينما قدم مرو عام ١٩٣ الهجرىّ ، وقد ظهر كثير من الشعراء فى عهد بنى طاهر والصفاريين والسامانيين أمثال حنظلة ابن البادغيس وفيروز المشرقى وأبى سليك الجرجانى والشاهد البلخى وأبى شعيب صالح الهروي وأبى عبدالله محمد بن موسى الفرالادى أما الشاعر الذى يعد فى مقدمة شعراء الايرانية فهو (أبو الشعراء) « جعفر بن محمد الرودكي أبو الحسن أو أبو عبدالله » وقد نشأ نديما لنصر بن أحمد السامانى وتعاطى الشعر فى حداثته فبرز فيه وكان يتقن الضرب على آلات الطرب وعاصر الرودكى شعراء كانوا فى عهده منهم الشيخ أبو العباس الفضل بن العباس والشيخ أبو زرعة المعمرى الجرجانى وأبو اسحق ابراهيم بن محمد البخارى وأبو منصور محمد دقيقي الطوسى المتهم بالمجوسية ، وفى أواخر القرن الرابع الهجرى نبغ (أبو القاسم الفردوسى) الذى اشتهر كأعظم شاعر فى عهد الدولة الغزنوية ـ وفى عهد السلطان محمود الغزنوى ـ وعندئذ صارت اللغة الايرانية فى أوج عزها فقد سلخ هذا النابغ ثلاثين عاما لجمع شتات اللغة والتاريخ الضائعين فى ملحمته (الشاهنامه) المعروفة وقد عانى فى سبيل وضع تلك الملحمة مشقات كثيرة وقد ألمع الى اتعابه فقال :

بسی رنج بردم درین سال‌سی • عجم زنده کردم بدین فارسی

وفى القرنين الرابع والخامس الهجريين صارت اللغة الايرانيـة من اللغات الجميلة الشعرية ، توفرت فيها عناصر الخير والجمال والقوة فأصبحت آدابها غنية رائعة بدقة تصويرها وصحة احساسها وبديع خيالها وفاتن رقتها وفى الاخص سلاستها وفى عهد الشعراء السعدى وحافظ والرومى والنظامى والخاقانى برزت اللغة الايرانيـة حاملة لواء أدب جديد فيه من الاوصـاف والالوان والالواح مما جعله أدب حكمة وكمال وسحر وجمال ومن يطالع قصائد هؤلاء الموهوبين يرَ أن روح الشاعر نفذت فى الطبيعة فتفتحت أمام عينيه صفحاتها وتكشفت له عن أسرارها فغرف من ذلك المعين الذى لا ينضب بقدر ما لقريحته من قوة ولضميره من احساس وعقله من ادراك ...

* * *

ومن الانصاف ان نقرر ومن الحق أن نقول انه ليس من الحقيقة فى شىء أن يزعم انه لم يكن للايرانيين شعر وأدب وشعراء وادباء قبل الفتح الاسلامى فالامة الايرانية فى الرعيل الاول من الامم التى نالت القسـط الكبير والنصيب الوافى من الحضارة فان فنها وصناعتها الناطقين بجمال آثارها شاهدا عدل على حضارتها وبديهى انه لا حضارة من غير فن والحضارة ربيبة الفن ومن الفن الموسيقى ومنه الشعر بلا ريب ... والموسـيقى والشـعر صنوان لا يفترقان وحيثما وجدت الموسيقى وجد الشعر ووجد الايقـاع والتلحين ، والموسيقى والشعر منبعثان من الاحساس والاحساس يتفجر من الحب ومتى وجدت المرأة وجد الحب فوجد الشعر والموسيقى ولا يشك أى باحث فى أن الشعر الموجود الآن كان موجودا قبلا حتى عنـد الاقـوام البدائيـة ...

* * *